ISSN 2735-4822 (Online) \ ISSN 2735-4814 (print)

The controversy of atheism and religion according to Sam Harris

Master. Rahma Mostafa Kamil Abdel Azize
department of philosopy Faculty of Women for Arts, Science & Education, Ain Shams University, Egypt.
rahma.mostafa@women.asu.edu.eg
Assoc. Prof. Sabreen Zaghloul
Professor of philosophy of Rellgion - Faculty of Women for Arts, Science & Education, Ain Shams University, Egypt.
sabreen.Saghloul@women.asu.edu.eg
Dr. Magda Taha Abdullah
Lecturer of comparative Religious Faculty of Women for Arts, Science & Education, Ain Shams University, Egypt.
magda.taha@women.asu.edu.eg

Receive Date: 4 June 2024, **Revise Date:** 25 June 2024.
Accept Date: 26 June 2024.
DOI: 10.21608/BUHUTH.2024.295300.1700
Volume 5 Issue 3 (2025) Pp.157 -181.

Abstract

The problem of atheism has become a clear danger in our present time, where we find new atheists presenting erroneous hypotheses and theories about atheism and faith, in addition to their continuous efforts to solidify the concept of atheism and attempt to refute evidence of God's existence and religious arguments, proving their irrationality. The researcher chose one of the most prominent champions of atheism, specifically Sam Harris, due to the scarcity of Arabic research addressing his philosophy. Studying the atheism-religion debate in Harris's thought becomes highly significant in the field of contemporary philosophy given his wide influence. He advocates for a reconsideration of the foundations of religious faith. Based on this background, the researcher aims to analyze the atheism-faith debate in Harris's thought and discuss it from a Kantian perspective. We will critically examine Harris's arguments against religion and compare them with Kant's philosophical vision. We will start by defining key concepts such as atheism, faith, reason, religion, and morality, then move on to presenting Harris's main ideas in criticizing religion and defending atheism, focusing on his rational and moral arguments. Subsequently, a section will be dedicated to a critical discussion of Harris's ideas, employing both analytical and comparative critical methods. The ultimate goal is to contribute to enriching the philosophical discourse on the issue of atheism and faith, drawing inspiration from Kantian philosophy, with the hope that this research will open new horizons for thinking about this problem, enhancing the values of rationality, freedom, and tolerance in our contemporary world.

***Keywords*:** Atheism, Faith, Reason, Religion, Morality, New Atheism

جدل الإلحاد والدين عند سام هاريس

رحمة مصطفي كامل
باحثة ماجيستير- قسم الفلسفة
كلية البنات، جامعة عين شمس، مصر
rahma.mostafa@women.asu.edu.eg

أ.م.د/ صابرين زغلول السيد
أستاذ فلسفة الدين المساعد
كلية البنات، جامعة عين شمس، مصر
sabreen.Saghloul@women.asu.edu.eg

د/ ماجدة طه عبد الله
مدرس مقارنة الأديان
كلية البنات، جامعة عين شمس، مصر
magda.taha@women.asu.edu.eg

المستخلص:

أصبحت إشكالية الإلحاد تُشكل خطراً واضحاً في وقتنا الحاضر ، حيث نجد الملاحدة الجدد يقدمون فرضيات ونظريات خاطئة حول قضية الإلحاد والإيمان بالإضافة إلي نشاطهم المستمر في ترسيخ مفهوم الإلحاد ومحاولة تفنيد أدلة وجود الله والحجج الدينية و إثبات عدم منطقيتها، وقد اختارت الباحثة واحداً من أهم فرسان الإلحاد وهو سام هاريس على وجه التحديد لندرة الأبحاث العربية التي تتناول فلسفتة ، ودراسة جدل الإلحاد والدين في فكر هاريس تكتسب أهمية بالغة في حقل الفلسفة المعاصرة نظراً لتأثيره الواسع فهو يدعي إلي إعادة النظر في أسس الإيمان الديني ، إنطلاقاً من هذه الخلفية تسعي الباحثة إلي تحليل جدل الإلحاد والإيمان في فكر هاريس ومناقشته من وجهة نظر كانطية ، وسنتناول بالنقد الحجج التي يطرحها هاريس ضد الدين ونقارنها مع رؤية كانط الفلسفية ، سنبدأ بتحديد الإطار المفاهيمي للبحث من خلال تعريف مصطلحات مثل الإلحاد ، والإيمان ، و العقل ، والدين ، والأخلاق ، ثم سننتقل إلي عرض الأفكار الرئيسية لهاريس في نقد الدين والدفاع عن الإلحاد، مع التركيز علي حججة العقلية والأخلاقية وبعد ذلك سنخصص قسماً لمناقشة نقدية لأفكار هاريس ، وقد أتبعت الباحثة في ذلك المنهج التحليلي بالإضافة للمنهج النقدي المقارن ،والهدف الأسمي هو المساهمة في إثراء النقاش الفلسفي جول قضية الإلحاد والإيمان إنطلاقاً من حالة سام هاريس وبإستلهام من فلسفة كانط ، آملين أن يفتح هذا البحث آفاقاً جديدة للتفكير في هذه الإشكالية بما يعزز قيم العقلانية والحرية والتسامح في عالمنا المعاصر .

الكلمات المفتاحية: الإلحاد ، الإيمان ، العقل ، الدين ، الأخلاق ، الإلحاد الجديد

مقدمة الدراسة:

يُعد سام هاريس أحد أبرز الملحدين الجدد في العصر الحديث، وقد اشتهر بكتاباته ومحاضراته التي تنتقد الأديان وتدافع عن الإلحاد. في كتبه مثل "نهاية الإيمان" و"رسالة إلى أمة مسيحية"، يسعى هاريس إلى تفنيد الحجج الدينية وإثبات عدم منطقيتها، مستندا إلى العلم والفلسفة. ويرى أن الدين مصدر للعنف والتطرف، وأن التخلص منه ضرورة لتقدم البشرية.

إن دراسة جدل الإلحاد والإيمان في فكر سام هاريس تكتسب أهمية بالغة في حقل الفلسفة المعاصرة، نظرا لتأثيره الواسع وإثارته للجدل. فهو يمثل تيارا فكريا يتحدى المعتقدات الدينية التقليدية، ويدعو إلى إعادة النظر في أسس الإيمان. كما أن نقاشه يتقاطع مع إشكاليات فلسفية عميقة حول طبيعة الحقيقة والأخلاق ومصادر المعرفة.

ولعل الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط يمثل مرجعية مهمة في هذا السياق. فقد حاول كانط التوفيق بين العقل والإيمان، وتأسيس الدين ضمن حدود العقل وحده. رفض كانط براهين وجود الله الميتافيزيقية، لكنه أقر بضرورة الإيمان كمُسلمة أخلاقية. كما أكد على أولوية الواجب الأخلاقي وحرية الإرادة، بغض النظر عن الاعتقاد الديني .

انطلاقا من هذه الخلفية، يسعى هذا البحث إلى تحليل جدل الإلحاد والإيمان في فكر سام هاريس، ومناقشته من وجهة نظر كانطية. سنتناول بالنقد والتمحيص الحجج التي يطرحها هاريس ضد الدين، ونقارنها مع رؤية كانط الفلسفية. كما سنستكشف إمكانية صياغة موقف بديل يوفق بين العقل والإيمان، دون التضحية بالتفكير النقدي والمعايير الأخلاقية. وذلك بهدف إثراء النقاش الفلسفي حول قضية محورية تشغل الفكر الإنساني منذ القدم.

وفي سياق هذا البحث، سنتبنى منهجية كانط في التفكير النقدي والتحليل العقلاني. فكانط يؤكد على ضرورة إخضاع كل المعارف والأفكار لمحك العقل، وعدم التسليم بأي مسلمات دون تمحيص. كما يدعو إلى التمييز بين ما يمكن معرفته بالعقل وما يتجاوز حدوده. وهو ما سنسعى لتطبيقه في مقاربتنا لجدل الإلحاد والإيمان عند هاريس.

سنبدأ بتحديد الإطار المفاهيمي للبحث، من خلال تعريف مصطلحات مثل الإلحاد، الإيمان، العقل، الدين، والأخلاق. ثم سننتقل إلى عرض الأفكار الرئيسية لسام هاريس في نقد الدين والدفاع عن الإلحاد، مع التركيز على حججه العقلية والأخلاقية. وسنقارن ذلك مع موقف كانط من هذه القضايا، كما عبّر عنه في كتبه الأساسية مثل "نقد العقل الخالص" و"الدين في حدود مجرد العقل".

بعد ذلك، سنخصص قسما لمناقشة نقدية لأفكار هاريس، في ضوء فلسفة كانط. سنتساءل عما إذا كان نقد هاريس للدين يصمد أمام المحك العقلي، وهل يمكن الدفاع عن الإيمان من منظور كانطي. كما سنتطرق إلى مسألة الأخلاق، وإمكانية تأسيسها بمعزل عن الدين، كما يدعو هاريس، أو ضرورة ارتباطها بمُسلمة الإله الأخلاقي، كما يرى كانط.

وفي الأخير، سنحاول صياغة رؤية توفيقية بين العقل والإيمان، مستلهمين من فلسفة كانط. رؤية تحترم حدود العقل، وتقر بضرورة الإيمان كمُسلمة أخلاقية، دون التضحية بالتفكير النقدي والحرية الفكرية. وسنختم بتلخيص أهم النتائج التي توصلنا إليها، والدروس الفلسفية المستخلصة من هذا الجدل.

إن هدفنا الأسمى هو المساهمة في إثراء النقاش الفلسفي حول قضية الإلحاد والإيمان، انطلاقا من حالة سام هاريس، وباستلهام من فلسفة كانط. آملين أن يفتح هذا البحث آفاقا جديدة للتفكير في هذه الإشكالية، بما يعزز قيم العقلانية والحرية والتسامح في عالمنا المعاصر.

وجاءت الدراسة في ثلاث مباحث كالتالي :

المبحث الأول : الإطار المفاهيمي والنظري

المطلب الأول : تعريف المفاهيم الأساسية

المطلب الثاني : السياق الفكري لنقد هاريس للدين

المطلب الثالث : موقف هاريس من الدين ووجود الله

المبحث الثاني : الأسس الفلسفية لإلحاد هاريس ودعوته لنهاية الإيمان

المطلب الأول : فشل البراهين العقلية علي وجود الله كمؤسس للإلحاد

المطلب الثاني : مشكلة الشر والظلم كدليل علي بطلان الإيمان

المطلب الثالث : خطورة الإيمانالديني علي الأخلاق والعقلانية والسلام

المبحث الثالث : مناقشة نقدية لأفكار هاريس من منظور فلسفة الدين

المطلب الأول : الإنتقال المتعسف من عدم وجود إمكانية إثبات وجود الله إلي نفي وجوده

المطلب الثاني: الإختزال الوضعي للظاهرة الدينية وأبعادها اللامعرفية

المطلب الثالث : التعميم المفرط في رؤية سلبيات الأديان ونقائصها

كما يحتوي البحث علي خاتمة تضم أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة كما تحتوي علي خاتمة نقدية لنقد اراء هاريس كما يضم البحث أيضا قائمة بأهم المصادر والمراجع التي أعتمدت عليها الباحثة .

الإشكالية:

تتمحور إشكالية هذا البحث حول جدل الإلحاد والإيمان في فكر سام هاريس، وإمكانية مقاربته من منظور فلسفة إيمانويل كانط. فهاريس يقدم نقدا لاذعا للدين، ويدافع عن الإلحاد كموقف عقلاني وأخلاقي. ومشكلة الإلحاد من المشكلات المهمة في وقتنا الحاضر خاصة مايعرف بالإلحاد الجديد والذي يُشكل خطراً كبيراً، والذي يتمثل في إنكار وجود الله ومن هنا تَبرزُ مشكلة البحث فالملحدون الجدد وخاصة سام هاريس وهو_ المحور الرئيسي في هذه الورقة البحثية _ فهم يقدمون فرضيات ونظريات خاطئة حول قضية الإيمان بوجود الله، فضلا عن نشاطهم المستمر في ترسيخ مفاهيم خاطئة في عقول شبابنا اليوم ، ومن أسباب إختيار سام هاريس علي وجه التحديد لندرة الأبحاث التي تتناول فلسفتة بالرغم من إنتشاره علي الساحة الإعلامية ، فأهم ما يميز هاريس هو نشاطة المستمر في الوصول لأكبر قاعدة من الناس وذلك عن طريق أستخدامه لكل الوسائل المقروءة ،والمرئية، والمسموعة أيضا فقد أنشأ مشروع البودكاست الخاص به تحت مسمي (الصحوة) فيستضيف علماء وفلاسفة ويناقش معهم إشكالية وجود الله، ويعرض لكل أدلته في إنكار وجود الذات الإلهية ، وهجومه المستمر علي الأديان وخاصة الدين الإسلامي، ويُعد هاريس من الفلاسفة إثارة للجدل في وقتنا الحاضر بسبب تعرضه لمفاهيم مناقدة للفكر الإلحادى من وجهه نظر الملاحدة أنفسهم ومثال علي ذلك صياغتة للروحانية وإهتمامه الشديد بالجانب الروحي للإنسان ،وأيضا رفضه لمسمي المُلحد ورفضه لمسميات أخري مثل المتشكك او اللاديني أو ضد الدين.

تساؤلات الدراسة:

استنادًا إلى الإشكالية السابقة تتمثل تساؤلات الدراسة كالتالي:

1- هل تصمد حججه أمام المحك الفلسفي؟
2- هل يمكن، انطلاقا من كانط، الدفاع عن الإيمان كمُسلمة أخلاقية ضرورية، دون التضحية بالعقلانية والروح النقدية؟
3- ما الرؤية الفلسفية التي يمكن أن نطورها لتجاوز هذا الجدل، والتوفيق بين العقل والإيمان في عالمنا المعاصر؟
4- ما المقصود بالإلحاد عند هاريس ؟
5- - ماهو موقف هاريس من الإيمان والأديان ؟
6- مَمٌ يتكون النسق الأخلاقي في فلسفة هاريس؟
7- ما أسباب رفضة للدين ؟

أهمية الدراسة :

تنبع أهمية البحث من ضرورة تقديم دراسة وافية عن أحد فلاسفة الإلحاد اليوم و لأن هناك ندره في تناول الأبحاث الخاصة بالظاهرة الإلحادية الجديدة في عالمنا العربي خاصة تناول فرسان الإلحاد الأربعة فهم يشكلوا خطراً كبيراً علي مجتمعنا , والوقوف علي الوسائل المستخدمة لنشر الافكار الإلحادية ومواجهه تلك الافكار بالحجة والدليل، حيث يعد هاريس من أبرز ملحدى العصر و من أكثر الفلاسفة ظهورا في المشهد الإعلامي لذلك وجب تحليل أراءه وتفنيد حججه بإستخدام فلسفة الدين والمنطق .

منهج الدراسة :

أعتمدت الباحثة في هذا البحث علي عدة مناهج :

المنهج التحليلي : المستخدم في تحليل أراء الفيلسوف و كتاباته.

المنهج النقدي : في تقيم فلسفة هاريس الإلحادية والتعليق عليها .

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي والنظري

في هذا المبحث، سنقوم بتحديد المفاهيم الأساسية للدراسة، وتقديم لمحة عن فكر سام هاريس[1*]

(*)أسمه بالكامل صامويل بنيامين هاريسSamuel Benjamin Harris ولد عام 1967 بالولايات المتحدة الأمريكية تحديداً في لوس أنجلوس والدته هي المنتجة التلفزيونية سوزان هاريس، وهي يهودية علمانية، ووالده هو الممثل بيركلي هاريس. قامت والدته بتربيته بعد طلاق والديه عندما كان في الثانية من عمره. وقد صرح بذلك ذات مرة أنه كانت تربيته علمانية تمامًا ولم يناقش والديه الدين إلا نادرًا. بدأ الالتحاق بجامعة ستانفورد لدراسة اللغة الإنجليزية. وفي سنته الثانية، انتقل إلى نيبال والهند حيث درس التأمل مع معلمي الدين الهندوس والبوذيين لمدة أحد عشر عامًا. في عام 1997، عاد هاريس إلى جامعة ستانفورد، وحصل على درجة البكالوريوس. حصل على شهادة في الفلسفة عام 2000، التحق بجامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس حيث حصل على درجة الدكتوراه في علم الأعصاب الإدراكي في عام2009،وفي عام 2004، تزوج سام هاريس من المحررة أناكا هاريس.(www.thefamouspeople.com)

ونقده للدين، ثم نناقش موقفه من وجود الله. وسنعتمد في ذلك على مؤلفات هاريس الرئيسية، مع الاستئناس بمصادر ثانوية في الفلسفة وعلم اللاهوت. وسنحرص على الدقة المفاهيمية والتحليل المتأني، اقتداء بمنهج الفيلسوف إيمانويل كانط في تناول الأسئلة الميتافيزيقية الكبرى.

المطلب الأول: تعريف المفاهيم الأساسية

1-. الإلحاد: (Atheism)

يشير مصطلح الإلحاد عموما إلى "عدم الاعتقاد بوجود إله أو آلهة"(Baggini,Julian,2003,p3)

لكن هذا التعريف العام يحتمل تفسيرات ودرجات متفاوتة. فهناك من يفهم الإلحاد بالمعنى السلبي، أي مجرد غياب الاعتقاد الإيجابي بوجود الله، دون الجزم بعدم وجوده. وهناك الإلحاد بالمعنى الإيجابي الأقوى، وهو الاعتقاد الصريح بعدم وجود أي إله والقطع باستحالة وجوده.(Martin, Michael,1995,pp463,473)

وسنرى لاحقا أن هاريس ينتمي للتيار الثاني الأكثر راديكالية.

كما يمكن التمييز بين الإلحاد العملي، بمعنى العيش كما لو أن الله غير موجود دون تبني موقف فلسفي محدد، وبين الإلحاد النظري الذي يتبنى حجج فلسفية لنفي وجود الله.

(Maritain, Jacques,1953,pp103,109)

ويمثل هاريس صيغة متطورة من الإلحاد النظري، تستخدم مقولات العلم والعقلانية الحديثة لتفنيد الحجج الدينية.

2-. الإيمان: (Faith)

على النقيض من الإلحاد، يشير الإيمان إلى "الاعتقاد بوجود حقيقة متعالية (إله أو مطلق) رغم عدم إمكانية إثبات وجودها بالأدلة الحسية والمنطقية".(Hick, John,1988,p.5)

وللإيمان بعد وجداني يتجاوز الاستدلال العقلي المجرد، فهو "حالة شعورية من الثقة والاطمئنان لوجود الله والارتباط به"، كما عبر عن ذلك الفيلسوف وليام جيمس.(James, William,1897,p.14)

" نشأ في جو علماني ساهم بشكل كبير في تشكيل آرائه حول الدين. ، يشار إليه على أنه أحد "فرسان الإلحاد الأربعة"، والآخرون هم دانييل دينيت وريتشارد دوكينز و كريستوفر هيتشنز. يعد مناصرًا لممارسات التأمل العلمانية، كما يعد من أكبر منتقدى الدين في وقتنا الحاضر ، له إسهامات كثيرة فهو مؤلف للكتاب الأكثر مبيعا في 2004 كتاب نهاية الإيمان (www. Famous authors.org)

وهو يترجم سلوكيا إلى "التسليم المطلق لإرادة الله والخضوع لأوامره"، كما هو الحال في الديانات الإبراهيمية.(Muhammad Iqbal ,1934,p1)

والخلاف الجوهري بين المؤمنين والملحدين هو حول إمكانية الإيمان ومشروعيته رغم عدم إمكانية إثباته عقلانيا. فالملحدون يرون أن الاعتقاد بما لا يمكن إثباته منطقيا وتجريبيا هو ضرب من الوهم، بينما يرى المؤمنون أن حدود العقل لا تنفي إمكانية وجود حقيقة لا متناهية. وكما سنرى، تتمحور معظم حجج هاريس حول دحض عقلانية الإيمان أكثر من إثبات عدم وجود الله.

3-العقل: (Reason)

يقصد بالعقل تلك "الملكة الإنسانية للتفكير المنطقي والاستدلال المجرد، والتي تميز الإنسان عن سائر الكائنات".(Blackburn, Simon,2005,p.317)

وقد أكد فلاسفة التنوير، أمثال كانط، على محورية العقل في بناء المعرفة الصحيحة وتقدم البشرية. لكن كانط في "نقد العقل الخالص"، ميز بين العقل بالمعنى الواسع وبين العقل الخالص بامتيازه، والمحصور في عالم التجربة المحسوسة. وخلص إلى أن الأسئلة الميتافيزيقية الكبرى، كوجود الله وخلود النفس، "تتجاوز كل قدرات العقل البشري".(Kant, Immanuel,1998 ,A3 /B7)

والسؤال المحوري في نقاش الإيمان والإلحاد، هو هل ينبغي حصر المعرفة فيما يدركه العقل التجريبي المحض كما يقول الملحدون الجدد، أم أن هناك مجالا للمعرفة الدينية والميتافيزيقية بالمعنى الكانطي الأوسع للعقل؟ وما هي حدود العقل في الإجابة عن الأسئلة الوجودية الكبرى؟

4-. الدين: (Religion)

هو "نسق من المعتقدات والممارسات المتعلقة بالحقائق الغيبية المطلقة والمقدسة، والتي تحدد علاقة الإنسان بالكون ومصيره فيه".(Durkheim, Émile,1995,P44)

وتتضمن الأديان عادة تصورات عن الخالق وأصل الكون والحياة بعد الموت، إلى جانب شعائر وطقوس وتنظيمات اجتماعية. ورغم التنوع الهائل في التجليات الدينية، فإن جوهر التجربة الدينية هو "الإحساس بوجود حقيقة كلية مطلقة تتجاوز عالم الظواهر، وتمنح المعنى والغاية للوجود البشري".

(Eliade, Mircea,1959,PP1,2)

والخلاف الرئيسي بين الدين والإلحاد هو حول مصدر القيم والمعنى والغاية من الوجود. فالمؤمن يراها نابعة من إرادة إلهية متعالية ومطلقة، بينما يعتبرها الملحد إسقاطات بشرية ذاتية. وكما سنرى، فإن نقد هاريس للدين لا يقتصر على الشق المعرفي، بل يتناول أيضا الأسس الأخلاقية والوجودية للإيمان.

5- الأخلاق: (Morality)

تشير الأخلاق إلى "منظومة المبادئ والقيم التي توجه السلوك الإنساني وتضبطه، وتحدد الخير والشر والصواب والخطأ". (Gert, Bernard, 2020,P1)

وقد ارتبطت الأخلاق تاريخيا بالأديان، باعتبارها وصايا إلهية وتعاليم مقدسة. لكن الفلسفة الغربية الحديثة، ابتداء من كانط، حاولت تأسيس الأخلاق على العقل العملي وحده، بمعزل عن الدين. وطرحت نظريات أخلاقية علمانية، كالأخلاق النفعية والبراجماتية.

والنقطة المحورية في مناقشة الأخلاق بين الإيمان والإلحاد، هي مدى إمكانية تأسيس منظومة أخلاقية كونية دون الحاجة لمرجعية دينية مطلقة. وكما سنبين لاحقا، تعتبر مسألة علاقة الأخلاق بالدين من المحاور الأساسية في نقد هاريس للدين.

المطلب الثاني: السياق الفكري لنقد هاريس للدين

ينتمي سام هاريس للجيل الجديد من الملحدين في القرن الحادي والعشرين، والذي يعرف باسم "الإلحاد الجديد" (New Atheism). وقد برز هذا التيار كرد فعل على تنامي الأصولية الدينية ومظاهر التطرف والإرهاب باسم الدين. وهو يتميز باعتماده على العلم والتطور كإطار مرجعي بديل للدين، ودعوته الصريحة لنبذ الدين من الفضاء العام واعتباره أفيونا للشعوب.

(Amarasingam, Amarnath,2010,P1-2)

ويُعد هاريس أحد أبرز منظري الإلحاد الجديد، إلى جانب ريتشارد دوكنز ودانييل دينيت. فهو يجمع بين الخلفية الفلسفية الرصينة، والأسلوب العلمي في الاستدلال، والحدة الجدلية في نقد الدين. وقد اشتهر بكتابه الأول "نهاية الإيمان" (2004)، والذي باع أكثر من 250 ألف نسخة..(Berkowitz, Peter,2007)

ثم توالت كتبه الأخرى: "رسالة إلى أمة مسيحية" (2006)، "المشهد الأخلاقي" (2010)، و"التأمل والذهن المتيقظ" (2014).

وكباحث في علوم الأعصاب، يعتمد هاريس على رؤية علموية تختزل الوعي في النشاط الدماغي، وتعتبر الشعور الديني مجرد وهم ذهني. فهو ينظر للإيمان كأفكار زائفة وخطيرة، تغرسها التنشئة الاجتماعية في عقول الأطفال، وتتناقلها الأجيال دون تمحيص عقلاني.(Harris, Sam,2004,P12)

ولا يكتفي هاريس بنقد لاعقلانية المعتقدات الدينية، بل يعتبر الإيمان في حد ذاته تهديدا للسلام والتعايش، لأنه يكرس منطق الإقصاء والتكفير.

وفلسفيا، يقف هاريس موقفا تجريبيا وضعيا، يحصر الوجود والمعرفة الصحيحة في عالم الوقائع المحسوسة. و يرفض أي تأملات ميتافيزيقية أو غيبية، باعتبارها أوهاما لا سند لها في الواقع.

وهنا يلتقي هاريس مع الفيلسوف ديفيد هيوم، الذي شكك في جدوى البحث الميتافيزيقي برمته، ودعا لحصر المعرفة في حدود التجربة.(Hume, David,1993, P10)

لكن كما سنرى لاحقا، فإن موقف هاريس يفتقر لتواضع هيوم، وينزع للتعميم المتسرع وإطلاق الأحكام القطعية.

وأخلاقيا، ينتمي هاريس للتيار النفعي البراجماتي، الذي يقيس صواب الأفعال بمدى فائدتها وتحقيقها للسعادة. فهو يرى أن الأخلاق والقيم يمكن تأسيسها علميا، انطلاقا من المعطيات البيولوجية والسلوكية للإنسان. وهو في ذلك متأثر بمشروع الفيلسوف جون ستيوارت ميل، لتأسيس "علم للأخلاق" يستند للطريقة التجريبية.(Mill, John Stuart, 1963,P.214.)

لكن كما سنناقش، فإن هذه الرؤية تثير إشكالية إلزامية الأخلاق وعلاقتها بالإيمان من منطلق كوني.

المطلب الثالث: موقف هاريس من الدين ووجود الله

بناء على المنطلقات الفكرية السابقة، يقدم هاريس في كتبه ومحاضراته نقدا لاذعا للدين، وصل لحد المطالبة بالقضاء عليه تماما. وتتلخص رؤيته في عدة محاور أساسية:

أولا، ينفي هاريس وجود أي دليل عقلي أو تجريبي على وجود إله خالق للكون. فهو يستعرض ويفند حجج الأديان التقليدية، من البرهان الكوني إلى دليل النظم، ويرى أنها جميعا معيبة منطقيا وعلميا. ويخلص إلى أن "فكرة الإله المتعالي على الطبيعة والمسؤول عن خلقها، فرضية لا يمكن إثباتها، ولا تضيف فهما حقيق

للوجود"(Harris, Sam,2004,P16)

بل إن هذه الفرضية برأيه "تخالف جميع المعطيات العلمية حول نشأة الكون وتطور الحياة، ولا تملك سوى الإيمان المجرد سندا لها".(Harris, Sam,2004,P67)

وهنا يطرح هاريس سؤالا مركزيا: "بما أنه لا يمكن إثبات وجود الله، فلماذا لا نقبل الاستنتاج الأبسط والأكثر اتساقا مع الوقائع، وهو أن الله من صنع البشر وليس العكس؟".

(Harris, Sam ,2014, (19) January 9)

فبالنسبة لهاريس، فكرة الله ما هي إلا إسقاط بشري وأمنية نفسية، لتفسير عجز الإنسان وجهله بأسرار الوجود. وهذا التفسير النفسي-الاجتماعي لمنشأ الإيمان بالله، كان قد طرحه من قبل فلاسفة دين أمثال لودفيج فيورباخ وإميل دوركايم.(Segal, Robert A, 2005,P.52-54)

لكن موقف هاريس، رغم ظاهر عقلانيته، لا يخلو من تعسف وتسرع في الحكم. فهو ينتقل بلا وساطة من عدم إمكان إثبات الله منطقيا، إلى الجزم بأنه فكرة باطلة وضارة. وهذا الاستنتاج المتشدد غير ملزم منهجيا، لأن عجز العقل البشري عن إدراك الحقيقة المطلقة لا يعني بالضرورة عدم وجودها. وكما أكد كانط، فاستحالة البرهنة النظرية على وجود الله لا تنفي ضرورة افتراضه أخلاقيا وإيمانيا.

(Kant, Immanuel,1997,p.124-132)

وسنناقش لاحقا عمق هذا الإشكال المنهجي الذي يعتري إلحاد هاريس.

ثانيا، يعتبر هاريس أن الإيمان الديني بطبيعته يتنافى مع العقلانية ومنهج الشك العلمي. فالدين، كما يصوره هاريس، يفرض على أتباعه التسليم المطلق بمسلمات لاعقلانية، كالنبوات والمعجزات والغيبيات. ويمنعهم من ممارسة التفكير النقدي الحر وطرح الأسئلة حول عقائدهم ومقدساتهم. وهو بذلك "يكرس التفكير الخرافي ويحد من الفضول المعرفي، ويعيق تقدم العقل والعلم".(Sam,Harris,2004,p25)

فالمؤمن بالنسبة لهاريس، هو شخص استسلم طواعية لغسيل دماغ منظم وتنازل عن ملكة التفكير النقدي.

لكن نقد هاريس هنا مبالغ فيه أيضا، ويجانب العدل في وصفه للحالة الدينية. فمع التسليم بوفرة النزعات الدوغمائية والخرافية في الأديان، فإن هذا لا ينفي وجود تقاليد عقلانية وتنويرية عميقة داخلها. فقد برز في كل ديانة مفكرون أحرار سعوا لتوفيق العقل والإيمان، وانتقدوا التحجر والتعصب من منطلقات دينية. وحتى كانط، الذي يستند إليه هاريس جزئيا، حاول تنقية الدين مما علق به من شوائب وأساطير، للوصول لجوهره الأخلاقي العقلاني. (Kant, Immanuel,1998,p.6:12)

وهذا يدل على أن الإيمان لا يلغي الحس النقدي كلية، وأن هناك طرقا عديدة لعيش التجربة الدينية.

ثالثا، يتهم هاريس الأديان التوحيدية خاصة الإسلام بأنها مصدر للعنف والتعصب والإرهاب. فبالنسبة له، الإيمان بإله واحد مطلق يمتلك الحقيقة الكاملة، يؤدي حتما للاستعلاء والإقصاء ونفي الآخر. "لأنه إذا كان الله معي، فمن ليس معي يكون ضد الله لا محالة، ويستحق الإبادة".(Harris, 2004 ,p.141,) Sam

ويستدل على ذلك بتاريخ الحروب الدينية وفظائع محاكم التفتيش والتطهير العرقي وصولا للإرهاب الحديث. كما يرى أن مفاهيم الجهاد والحرب المقدسة تشجع على التضحية بالحياة والعنف ضد المدنيين الأبرياء(Sam,Harris, 2004,p. 123:128)

لكن حجة هاريس هنا أيضا انتقائية ومتحيزة للسلبي من تاريخ الأديان. صحيح أن الدين استخدم غطاء للكثير من الصراعات والمظالم، لكن ربط العنف بجوهر الدين تعميم خاطئ. فقد لعبت الأديان أيضا أدوارا إيجابية في الحض على التسامح ونبذ الاضطهاد ورعاية المستضعفين. كما أن بعض أقسى المجازر في التاريخ، من الحرب العالمية للإبادات الشيوعية، ارتكبت بدوافع علمانية وقومية بحتة.

والأنصف أن العنف ظاهرة إنسانية معقدة لا تختزل في البعد الديني، وإن كان الدين أحد محفزاتها أحيانا.

وفي الحصيلة، فإن نقد هاريس لوجود الله والإيمان الديني، رغم نقاط قوته وجرأته، يبقى أسير ثنائيات مبسطة ورؤية أحادية متحيزة. فهو لا يستوعب تعقيد الظاهرة الدينية وثراءها الفكري والوجداني، ويختزلها في بعدها السلبي المعرفي والتاريخي. ولا يتفهم المنزع الروحي والوجودي للإيمان رغم عدم إمكانية البرهنة عليه عقلانيا. كما يقفز من عجز العقل عن إثبات الله إلى الجزم باستحالة وجوده، في تسرع منهجي يتجاوز حدود العقل ذاته.(Armstrong, Karen,2014,p.201-225)

والسؤال الأعمق هو: هل لابد من الوقوع في الثنائية الصارمة بين الإيمان المطلق والإلحاد المطلق؟ أليس من الممكن التفكير في إيمان معقول منفتح على النقد الذاتي، وفي أشكال من الروحانية بدون إله ولا دين؟ هذا ما ستحاول الأبحاث القادمة تسليط الضوء عليه من وجهة نظر فلسفية كانطية، سعيا لتجاوز المواقف النمطية والأحكام المسبقة

المبحث الثاني: الأسس الفلسفية لإلحاد هاريس ودعوته لنهاية الإيمان

بعد أن استعرضنا في المبحث الأول الإطار المفاهيمي لدراسة الإلحاد والإيمان، وقدمنا لمحة عن فكر سام هاريس، سننتقل الآن لاستكشاف الحجج الفلسفية التي يسوقها هاريس لتبرير موقفه الإلحادي، ودعوته الصريحة للتخلص من الإيمان الديني. وسنحلل وننقد هذه الحجج بعمق، باستخدام أدوات التحليل الفلسفي على طريقة كانط، مع الاستناد لمصادر أصلية من كتابات هاريس ومؤلفات أخرى في فلسفة الدين.

المطلب الأول: فشل البراهين العقلية على وجود الله كمؤسس للإلحاد

يخصص هاريس جزءا كبيرا من كتابه "نهاية الإيمان" لمناقشة ونقد الأدلة والبراهين التقليدية على وجود الله. وهو في ذلك يسير على خطى ديفيد هيوم في كتابه "محاورات في الدين الطبيعي" (1779)، حيث أخضع الأخير تلك البراهين لتفكيك منطقي وتجريبي صارم. (Hume, David ,2007,pp. 43-68)

لكن هاريس يذهب أبعد من هيوم، فلا يكتفي بنقد صلاحية البراهين، بل يعتبر فشلها دليلا كافيا لإثبات عدم وجود الله وبطلان الإيمان به.

ففي الفصل الثاني، يفحص هاريس "البرهان الكوني" (cosmological argument)، والذي ينطلق من فكرة أن العالم معلول يحتاج لعلة أولى هي الله. ويكرر النقد الكلاسيكي بأن البرهان يقع في مغالطة تحصيل الحاصل، لأنه إذا كان كل شيء يحتاج لعلة، فلماذا نستثني الله نفسه من هذا المبدأ؟

(Harris, Sam ,2004,pp .73-74)

كما يستدل بنظريات علمية حديثة، كالانفجار العظيم والأكوان المتعددة، لإظهار أن الكون يمكن أن يوجد بدون خالق. (Harris, Sam ,2004,pp .71-72)

ثم ينتقل لتفنيد "البرهان الغائي" (teleological argument) أو برهان التصميم الذكي، مستعينا بفكرة التطور الطبيعي لداروين. فهو يرى أن التعقيد والتناغم في الكائنات الحية هو نتاج انتقاء طبيعي أعمى، لا يحتاج لمصمم واعٍ. (Harris, Sam ,2004,pp .74-77)

ويمضي هاريس للتساؤل: حتى لو افترضنا وجود مصمم للكون، فإن هذا لا يعني أنه إله كامل وجدير بالعبادة. فلماذا لا يكون الكون صنعة إله "شرير" أو "فاشل"، بدليل الشرور التي تملأه؟

(Hyman, Gavin,2007,p.36)

أما "البرهان الأنطولوجي" (ontological argument) لأنسلم، والذي يستنتج وجود الله من تعريفه كـ"أعظم ما يمكن تصوره"، فيرفضه هاريس جملة وتفصيلا. فهذا البرهان بنظره "تلاعب لفظي محض، ومحاولة بائسة لإضفاء الوجود على مجرد تصور ذهني".(Harris, Sam ,2004, p82)

ولا يمكن لأي برهان منطقي أن "يخلق" وجودا واقعيا بالاشتقاق اللفظي وحده. إن مفهوم الله تجريد عقلي لا ينتج عنه ضرورة وجوده، كما أن تصور شيء لا يعني وجوده بالفعل.

(Dennett, Daniel C ,2007,pp .242-243)

وفي الحصيلة، يخلص هاريس إلى أن هذه البراهين جميعا "فاشلة بشكل ذريع ويرثى لها"

(Harris, Sam ,2004,p.16)

ولا تستحق حتى الجدل الفلسفي المطول. بل إن افتقار الدين لأي دليل عقلي أو تجريبي على الإيمان بالله، هو كاف لرفضه كنظام فكري وأخلاقي برمته. فمن "العبث أن نبني حياتنا على أساس معتقد فشلنا في إثبات صحته".(Harris, Sam ,2004,p.25)

وهكذا يبرر هاريس دعوته لنهاية الإيمان والتحرر من وهم الألوهية والغيب.

لكن قبل أن نسلّم بخلاصة هاريس، يجدر أن نتوقف لنقد مقدماتها وسلامة استدلالها الفلسفي. فكما بين كانط في "نقد العقل المحض"، فإن عدم كفاية البراهين النظرية على وجود الله لا يعني عدم وجوده حتما، بل يعكس فقط حدود العقل البشري وقصوره عن إدراك الحقائق المطلقة.

(Kant, Immanuel, , (1998), A591/B619ff)

فضعف الأدلة على القضية، شيء مختلف عن إثبات بطلان القضية ذاتها، وإلا وقعنا في مغالطة "الاحتجاج بالجهل".

وقد أقر كانط بصعوبة إثبات وجود الله بالأدلة العقلية، سواء البرهان الكوني أو برهان الإمكان والوجوب أو البرهان الغائي. (Palmquist, Stephen (2008), pp. 22-23,)

لكنه لم يقفز من هذا الموقف السلبي إلى نفي وجود الله، بل دعا للتواضع الفكري في مقاربة القضايا الميتافيزيقية. فنقصان البرهان العقلي لا يلغي إمكانية الإيمان، طالما أن هناك دوافع أخلاقية ونفسية تدعو له، كالحاجة لمعنى أسمى وغائية أخيرة للوجود. كما أن حدود معرفتنا لا تحدد حدود الواقع بالضرورة.

(Byrne, Peter, 2007, pp. 150-151)

وإذا أردنا تلخيص الموقف الكانطي في صياغة معاصرة، فيمكن القول: إن عجز العقل النظري عن إثبات وجود الله أو نفيه قطعا، يدعو للتعليق المنهجي للحكم، والتمييز بين الظواهر التي يمكن معرفتها (الطبيعة

والتاريخ) وبين الحقائق المطلقة التي تتجاوز العقل (الله والنفس). وفي هذا المجال الأخير، يصبح الإيمان ذو طابع عملي معياري وليس نظريا برهانيا. (Hare, John E, 2009, pp. 145-148)

وسنعود لهذه النقطة عند تناول بديل كانط الأخلاقي للدين في مبحث لاحق.

ومن هنا، فإن هاريس وقع في مغالطة منطقية حين اعتبر ضعف البراهين كافيا للقطع بعدم وجود الله، وبنى عى ذلك دعوة شاملة للتخلص من الدين. فهو تجاوز النقد المشروع في حدود المعرفة، إلى إطلاق أحكام وجودية ومعيارية تفوق ما تتيحه المقدمات. والأكثر اتساقا أن نقول: إن عدم إمكانية إثبات وجود الله عقلا لا يعني إمكانية إثبات عدم وجوده، وإنما ينبهنا لضرورة البحث عن معنى الإيمان وجدواه في مجالات أخرى غير المنطق والعلم فحسب.

المطلب الثاني: مشكلة الشر والظلم كدليل على بطلان الإيمان

إذا كان هاريس قد بذل جهدا في تفكيك البراهين العقلية على وجود الله، فهو يبدو أكثر اهتماما بالبرهنة على عدم وجوده انطلاقا من مشكلة الشر في العالم. فبالنسبة لهاريس، وجود الآلام والظلم والكوارث على نطاق كوني "يتنافى مع فكرة إله كلي القدرة والصلاح مهتم بمصير خلقه" Harris, Sam (,2004,p.173)

وحسب تعبيره، فإن "كمية المعاناة التي تشهدها الحياة تكفي لنسف أي مزاعم بعدالة خالق أخلاقي للكون"(Harris, Sam ,2004,p. 163)

ويفصل هاريس في وصف صور الشر في العالم، من الأمراض القاتلة إلى المجاعات والحروب والجرائم الوحشية. ثم يستنكر: كيف يمكن التوفيق بين هذا الواقع المرير وبين الإيمان برب "رحيم" و"عادل" يعلم كل شيء ويقدر على كل شيء؟ أليس من شأن إله صالح كامل أن يحول دون حدوث الشرور ابتداء، أو على الأقل يخفف من حدتها؟(Harris, Sam ,2004,pp.170-172)

فهل يعجز الله عن محاربة الشر، أم أنه يسمح به عن قصد؟

ويتساءل هاريس بسخرية: إذا كان الله يسمح بمثل هذه الشرور والمآسي، فكيف يتوقع منا نحن البشر أن نكون أكثر عدلا ورحمة؟ ثم كيف نفسر وجود كل هذا الألم والظلم وسط الأبرياء، لا سيما الأطفال منهم؟ وما ذنب آلاف الضحايا والمظلومين حتى "يختبر" الله إيمانهم بمثل هذه المحن؟ ألا ينم هذا عن سادية وقسوة في "قدر الله" وإرادته؟(Harris, Sam ,2004,p.173)

ويخلص هاريس في النهاية: إن مشكلة الشر توفر برهانا قاطعا على عدم وجود إله على النحو الذي يتصوره الأديان التوحيدية. فوجود الشر ينفي منطقيا صفات الخالق المثالية (العلم المطلق والقدرة المطلقة والخيرية المطلقة). ومن ثم، فإن "الاستمرار في الإيمان بإله صالح قادر كامل، في مواجهة برهان الشر الساحق والمعاناة الحقيقية للناس، ليس مجرد خطأ عقلي بل هو شر أخلاقي بحد ذاته".

(Harris, Sam ,2004,p.176)

والحق أن هاريس يطرح هنا إحدى أعقد المسائل التي شغلت فلاسفة الدين والمتكلمين منذ القدم، وهي مسألة إمكانية التوفيق بين الشر في الواقع والإيمان بالله. وبينما حاول بعض الفلاسفة المؤمنين، من أوغسطين إلى لايبنتز، تقديم تفسيرات لائقة لتبرير وجود الشر رغم الإيمان بالعناية الإلهية، مال آخرون إلى إنكار صفات الله (كالقدرة المطلقة أو الخيرية المطلقة) أو التشكيك في وجوده ذاته.

(Tooley, Michael, , 2019, Sections 4-6)

لكن مقاربة هاريس لهذه المعضلة الفلسفية الشائكة تبدو أحادية ومتعجلة في حسمها لصالح الإلحاد. فرغم وجاهة انتقاده لبعض التفسيرات اللاهوتية الساذجة والمجحفة للشر، والتي تحمّل الإنسان وحده مسؤوليته أو تبرره بـ"الحكمة الخفية" لله، فإن هاريس يقفز بسرعة لاستنتاج أن لا وجود لإله ولا معنى للإيمان به. وهنا نجد أنفسنا مرة أخرى أمام خلل منهجي وعجلة في استخلاص النتائج من مقدمات جزئية غير حاسمة.

فعلى مستوى المنطق، يمكن القول إن "برهان الشر"، رغم شدته، لا يقدم دليلا قاطعا على عدم وجود الله، بقدر ما يثير تساؤلات حول طبيعة هذا الإله وصفاته. فهو يدحض بالفعل تصورا مثاليا "ساذجا" للألوهية، ويدفعنا لمراجعة فهمنا للقدرة الإلهية والعناية والحكمة والعدالة الكونية. لكنه لا يسد الباب نهائيا أمام إمكانية وجود "مطلق" فوق إدراكنا، أو غائية كلية تتجاوز مداركنا القاصرة. فالشر قد يكون تحديا للإيمان لكنه ليس بالضرورة دليلا كافيا لهدمه.

كما يمكن من منظور كانطي، اعتبار مسألة الشر امتحانا لحدود العقل البشري وقدرته على فهم الحقائق المطلقة. ففي "نقد العقل العملي"، أقر كانط بصعوبة التوفيق عقليا بين الشر الواقع ووجود إله عادل رحيم. لكنه اعتبر أن هذه الصعوبة تعكس قصور معرفتنا وليس عدم وجود الله بالضرورة.

(.Kant, Immanuel, , 1996, 8:255ff)

فقد يكون للشر دور ما في "النظام الأخلاقي الكوني" يتجاوز إدراكنا المحدود، مثل تعزيز الإرادة الخيرة والنضال ضد الظلم والفساد في العالم. دون أن يعني هذا بالطبع تبرير الشر أو إعفاء الإنسان من مسؤولية مقاومته . (Munzel, G. Felicitas, 1999, pp. 323-324)

وعلى مستوى أعم، فإن ربط الإيمان بالله بمدى قدرته على منع الشر، هو أمر يحمل تصورا مبسطا عن الألوهية ودورها. فالإيمان بوجود مطلق لا يقتصر على التسليم بقدرته على التدخل في مجريات العالم، بل يتعلق أيضا بوجود معنى وغاية للوجود تتجاوز عالم الظواهر المادية. وهذه الحاجة الميتافيزيقية للبشر قد تستمر حتى لو عجز العقل عن تفسير مشكلة الشر بشكل مرضٍ أو نهائي. فالإيمان يظل ممكنا واقعيا رغم العقبات الفكرية، لأنه ينبع من منازع وجودية ونفسية عميقة. (Casserley, J. V, 1971, p. 33)

وحتى لو سلمنا جدلا أن الشر ينفي وجود إله على النحو الذي تصوره الأديان، فهذا لا يعني أنه ينفي كل أشكال الإيمان أو المعنى السامي للحياة. فهناك طرق بديلة للتعامل مع مشكلة الشر والمعاناة، دون اللجوء للإيمان الديني التقليدي. مثل البوذية والفلسفات الوجودية والإنسانية العلمانية، التي تؤكد على القيمة الذاتية للخير والتعاطف والتضامن بين البشر، بغض النظر عن الاعتقاد بإله محدد أو غائية كونية.

(Dalai Lama XIV, 2011, pp. 13-14)

وهذا ما يجعل تبرير هاريس للإلحاد انطلاقا من مشكلة الشر أمرا انتقائيا لا يقدر تنوع الخيارات الفلسفية والوجودية.

وفي المحصلة، يمكن القول أن استخدام هاريس لمشكلة الشر كبرهان دامغ على بطلان الإيمان، لا يصمد أمام التحليل الفلسفي الدقيق. فهو يثير بحق أسئلة محرجة عن صفات الإله وعنايته، لكنه لا يسد الباب نهائيا أمام تصورات بديلة للإيمان والمعنى. والأهم، أنه لا ينتبه لحدود العقل البشري في الجزم بحقائق ميتافيزيقية مطلقة، كما أوضح كانط. الأمر الذي يجعل تحويل الشر لدليل إلحادي قطعي أمرا مشكوكا فيه، حتى لو اقتنعنا بجزء من مضمونه النقدي.

المطلب الثالث: خطورة الإيمان الديني على الأخلاق والعقلانية والسلام

بالإضافة للحجج السابقة، يستند هاريس في دعوته لنهاية الإيمان على أساس تأثيره السلبي على الأخلاق والعقل والمجتمع. فبرأيه، فإن المعتقدات الدينية، حتى في صيغها المعتدلة، تمثل خطرا جسيما على القيم الإنسانية والتقدم العلمي والعيش المشترك. وإذا أردنا إنقاذ البشرية وكوكبنا، يجب استئصال الدين من جذوره ليحل محله الإلحاد العقلاني والأخلاق العلمانية.

يبدأ هاريس بالتأكيد على أن الأديان، بحكم طبيعتها، تقوض العقل والمنهج العلمي النقدي. فهي تفرض على أتباعها التسليم المطلق بمسلمات إيمانية لا تقبل التشكيك ولا تستند لأي دليل تجريبي. وتربط الفضيلة بالإيمان الأعمى بنصوص "مقدسة" بغض النظر عن مدى اتساقها أو صحتها. وهذا يشجع على التفكير الخرافي والهروب من الواقع والتسليم للمجهول، ويمنع تطور العلم والمعرفة.

(Harris, Sam ,2004,pp.16-23)

ويضرب هاريس أمثلة من العصور الوسطى المسيحية، حيث تم قمع العلماء ومصادرة الكتب وفرض الرقابة على الأفكار بحجة مخالفة الكتاب المقدس. كما يشير إلى مواقف الكنائس المتشددة اليوم، التي ترفض نظرية التطور أو تحريم الأبحاث الجينية والطبية. ويستنتج أن هناك تضادا جوهريا بين "الإيمان" بالمعنى الديني و"العقل" كملكة نقدية مستقلة. وأن المجتمعات لم تحقق تطورا علميا وفكريا إلا حين تحررت من سلطة الدين وتبنت القيم العلمانية.

(Hitchens, Christopher, 2007, pp. 63-71)

أما على المستوى الأخلاقي، فيرى هاريس أن الأديان أخطر مصدر للتعصب والعنف وانتهاك حقوق الإنسان. فالإيمان المطلق بالله يقود للإقصاء والكراهية، ويجعل الناس يضحون بالقيم الإنسانية في سبيل الولاء لعقيدتهم. ويستشهد هاريس بتاريخ الحروب الدينية والفتوحات التي استباحت الأرواح والممتلكات وفرضت الإيمان بالقوة. كما يحمل الإسلام بشكل خاص مسؤولية تغذية الإرهاب، بزعم أن عقيدة الجهاد والشهادة فيه تحفز على العنف والانتحار(. Harris, Sam ,2004,pp.26 -35)

ومن الناحية الاجتماعية، يعتبر هاريس الإيمان الديني عائقا أمام التعايش والتسامح بين الشعوب. لأن الدين بطبيعته يقسم البشرية لمعسكرين: مؤمنين مصطفين وكفار منبوذين. ويغرس فكرة تفوق المعتقد الخاص وضرورة فرضه على الآخر. وحتى المؤمنون بنفس الدين ينقسمون لطوائف وفرق تتصارع فيما بينها حول الحقيقة المطلقة. كما أن الدين يقمع الحريات الفردية ويضطهد المرأة والأقليات باسم الشريعة أو الوصايا الإلهية.(Harris, Sam ,2004,pp.205 -207)

في المقابل، يرى هاريس أن الإلحاد العقلاني والأخلاق الإنسانية العلمانية هي البديل الأفضل لبناء مجتمعات متقدمة وسلمية. فرفض الخرافة والغيب والتمسك بالعلم والتجربة، يعزز التفكير الحر والإبداع والتقدم المعرفي. كما أن الأخلاق القائمة على التعاطف والتعاون والحرية بدل الخضوع للوصايا الإلهية، تحد من العنف والاضطهاد وتؤسس لقيم كونية. ويؤكد هاريس أن المجتمعات الأكثر تحررا من الدين هي الأكثر ازدهارا وسلاما واستقرارا، كالسويد والدنمارك واليابان.(Harris, Sam ,2004,pp.43 -44)

رغم وجاهة بعض انتقادات هاريس، خاصة حول التطرف الديني، فإن ربطه المطلق بين الإيمان وكل تلك السلبيات يبدو تعميما مضللا. فمن منظور فلسفي نقدي، لا يمكن الجزم بالتضاد التام بين الدين والعقل والأخلاق الإنسانية. فهناك تقاليد دينية عريقة وفرت دوافع قوية للبحث والعلم والمعرفة، وطالما دعت للتأمل العقلي في مظاهر الخلق واستخدام العقل لتدبر الوحي. وبرز فلاسفة مؤمنون عظام، من ابن رشد لديكارت ولوك، جمعوا بين الفكر النقدي والإيمان بالمقدس بلا تناقض.

(Clayton, Philip, 2005, p. 343)

كما أن تحميل الدين مسؤولية كل حالات العنف والظلم التاريخية، ينم عن تبسيط للظاهرة الدينية واختزال لدوافع الصراع البشري. فالدين كان أحد مصادر الشرعية للحروب وليس سببها الوحيد، وطالما منحت الشرائع والنصوص تفسيرات متعددة لتبرير العنف أو الدعوة للسلام. كما أن أسوأ الفظائع في القرن العشرين ارتكبت باسم أيديولوجيات علمانية متطرفة كالنازية والشيوعية، لا علاقة لها بالدين.

(Armstrong, Karen, pp. 201-202)

وكما أقر كانط، فإن العقل والدين لا يتنافيان بالضرورة، طالما تم احترام حدود كل منهما. فالعقل مسؤول عن المعرفة النظرية للطبيعة والتاريخ، لكنه لا يستطيع البت في الأسئلة الميتافيزيقية الكبرى ولا السيطرة على جميع دوافع السلوك البشري (Kant, Immanuel , 1996, 8:143)

وبالتالي فهو في حاجة ليس لخضوع أعمى للدين، بل لمرجعية أخلاقية عليا تعطيه معنى وتوجها، ولو في صيغة إيمان "عقلاني". فالدين المستنير لا يلغي النقد والعقلنة، بل يدعمهما بغاية سامية وشعور بالمسؤولية.

(Palmquist, Stephen, (2009), pp. 23-24)

باختصار، فإن حجة هاريس حول خطورة الإيمان على العقل والأخلاق والسلام تحتوي نصف حقيقة أكثر من كونها حقيقة كاملة. فكما أن الدين يمكن أن يكون حافزا للتطرف والإقصاء، فإنه يمكن أن يكون داعيا للمحبة والتسامح والتضامن. ومشكلة هاريس أنه ينظر للمتشددين دوما على أنهم المتدينون الحقيقيون، في حين يبخس الإمكانات الحضارية والإصلاحية داخل الأديان. والأنصف أن ننظر للدين كأي ظاهرة إنسانية معقدة، لها جوانب مضيئة وأخرى مظلمة، تستحق الدراسة التاري خية والسوسيولوجية المتأنية بدل الأحكام المطلقة والتنميط المتعسف.

وفي الخلاصة، فإن الأسس التي يستند إليها هاريس في دعوته للإلحاد ونهاية الإيمان، رغم أهميتها في إثارة الجدل الفكري، تظل محل نظر من وجهة فلسفية نقدية. فهي تعاني من ثغرات منهجية وتعميمات متسرعة وأحكام انتقائية لا تقدر تشعب الظاهرة الدينية وغناها.

فضعف الأدلة العقلية على وجود الله لا يعني بالضرورة استحالة وجوده، بل يدعو للتواضع حيال حدود العقل، كما بين كانط. ومشكلة الشر، رغم صعوبتها، لا تنفي كل إمكانية للإيمان والمعنى، بل تدفع لتجديد النظر في صفات الإله ودور الإنسان.

أما التعارض المزعوم بين الإيمان والعقل والسلام، فهو موقف مبسط يتجاهل إسهامات الدين في الحضارة والأخلاق والتعايش، ويختزله في تجلياته السلبية والمتطرفة.

وبدل الخيار الثنائي الجامد بين الإيمان والإلحاد المطلقين، تدعونا فلسفة الدين الكانطية لمنهج أكثر نضجا وتوازنا. منهج يحترم استقلالية العقل والعلم دون التضحية بالحاجة للمعنى والقيم العليا. ويسعى لفهم الظاهرة الدينية في تعقيداتها، لنقد مظاهر التعصب وتعزيز نماذج الإيمان المستنير. ويفسح المجال لإمكانية الإيمان الذاتي الناضج، دون فرضه كحقيقة مطلقة أو إلزام الجميع به.

فما يحتاجه عالمنا اليوم، ليس انتصار الإلحاد أو الإيمان أحدهما على الآخر، بل سعة الأفق الفكري والحوار البناء بينهما. وتعميق الوعي بمشتركات الإنسانية الأخلاقية، بعيدا عن التطرف والإقصاء بكل أشكاله. وهو ما يمكن أن تسهم فيه الفلسفة، ومنها فلسفة كانط، كجسر للتفاهم وأداة للنقد والتنوير الذاتي المتواصل.

المبحث الثالث: مناقشة نقدية لأفكار هاريس من منظور فلسفة الدين

في هذا المبحث، سنتناول بالتحليل والنقد الفلسفي المتعمق الأفكار الرئيسية لسام هاريس في دفاعه عن الإلحاد، وذلك من منظور فلسفة الدين. وسنعتمد في ذلك على أسلوب إيمانويل كانط في التحليل النقدي، والذي يتميز بالدقة المفاهيمية والحجاج المنطقي الصارم والتواضع الفكري في تناول الأسئلة الميتافيزيقية الكبرى. وسنقسم المبحث إلى ثلاثة مطالب، يتناول كل منها إحدى الثغرات أو الإشكالات المنهجية في نقد هاريس للدين.

المطلب الأول: الانتقال المتعسف من عدم إمكانية إثبات وجود الله إلى نفي وجوده

تكمن أول ثغرة منطقية في فلسفة هاريس الإلحادية، في قفزه غير المبرر من القول باستحالة إثبات وجود الله بالعقل والتجربة، إلى الجزم المطلق بعدم وجوده وبطلان الإيمان به. ففي كتابه "نهاية الإيمان"، يستعرض هاريس بالتفصيل فل الأدلة التقليدية على وجود الله، من الدليل الكوني إلى دليل النظم، ويخلص إلى أنها جميعا لا تصمد أمام المحك العلمي والمنطقي. (Harris, Sam, 2004, pp. 16-23)

لكنه سرعان ما يقفز من هذه النتيجة السلبية المحدودة، إلى حكم إيجابي مطلق بأن "فكرة الإله هراء"

(Harris, Sam, 2004, p.158)

وأنه "لا يوجد أي دليل على أن الكون بدأ بفعل مدبر ذكي".

(Harris, Sam, ." The Huffington Post, January 2, 2006)

لكن من منظور التحليل المنطقي، هناك فرق جوهري بين عدم إمكانية إثبات قضية ما، وبين إثبات استحالتها أو بطلانها. فالأول موقف معرفي سلبي يعبر عن محدودية أدواتنا في البرهنة على صحة القضية، بينما الثاني موقف إيجابي جازم يدعي معرفة قطعية بخطأ القضية. ولكي ننتقل من الأول إلى الثاني، نحتاج لبرهان منطقي أو تجريبي مستقل على استحالة القضية، وليس مجرد بيان عدم كفاية أدلتها.

وهذا تحديدا ما يغفله هاريس في نقده للإيمان بوجود الله. فهو لا يقدم أي برهان إيجابي قاطع على استحالة وجود الله، بل يكتفي بالتشكيك في أدلة المؤمنين وتبيان تهافتها المنطقي والعلمي (وهي نتيجة لا يختلف معها كثيرون من فلاسفة الدين). لكنه يقفز منها مباشرة، وبشكل غير مبرر منطقيا، إلى نفي وجود الله جملة وتفصيلا. وكأنه يفترض ضمنيا أن عبء الإثبات يقع حصرا على المؤمنين، وأن فشلهم في الإثبات يعني تلقائيا صحة موقف الملحدين.

وهنا يتجلى أهمية التمييز الكانطي بين حدود العقل النظري وتواضعه إزاء الأسئلة الميتافيزيقية الكبرى. ففي "نقد العقل الخالص"، بين كانط بالتفصيل، كيف أن الأدلة التقليدية على وجود الله، من البرهان الوجودي إلى برهان الحدوث، تقع في مغالطات منطقية وتناقضات داخلية، لأنها تحاول تطبيق مقولات الفاهمة خارج مجال التجربة الممكنة.(Kant, Immanuel, , 1998, A592/B620-A602/B630)

لكن كانط لم يستنتج من هذا النقد أن الله غير موجود أو أن الإيمان به وهم، بل اكتفى بتحديد العقل وبيان عجزه عن الجزم بوجود الله أو عدمه بالأدلة النظرية وحدها.

(Kant, Immanuel, 1998, p.xxix-xxx)

إن الموقف الكانطي هنا هو موقف التواضع الفكري والتعليق المنهجي للحكم الوجودي، لا موقف النفي الدوغمائي الذي يبديه هاريس. وهو موقف يتناغم أكثر مع طبيعة السؤال الإلهي كمشكلة حدودية تتخطى قدراتنا المعرفية، ويقر بصعوبة الحسم فيها بشكل نهائي سواء بالإيجاب أو بالنفي. وهو ينسجم مع التقليد

الفلسفي العريق الذي يرفض تحويل الإلحاد إلى عقيدة جامدة، ويرى فيه مجرد غياب للاعتقاد الإيجابي بوجود إله.(Baggini, Julian, 2003, pp. 3-5)

بتعبير آخر، القول إننا لا نملك أدلة كافية لإثبات وجود الله، هو موقف منطقي معقول سواء وافقنا عليه أم لا. أما القول إن عدم وجود الأدلة يعني عدم وجود الله من الأساس، فهو قفز منطقي وادعاء معرفي مبالغ فيه لا يقل إشكالية عن الادعاءات اللاهوتية ذاتها. فعدم إمكانية إثبات القضية (وجود الله) لا ينفي بالضرورة احتمال صدقها، تماما كما أن عدم العثور على دليل قاطع على براءة المتهم لا يعني إثبات إدانته! وهو ما يدفعنا للتساؤل، كما فعل كانط، عن مدى عقلانية الإيمان ومشروعيته رغم عدم إمكانية إثباته بالبراهين النظرية القاطعة.

المطلب الثاني: الاختزال الوضعي للظاهرة الدينية وأبعادها اللامعرفية

إشكال آخر في نقد هاريس للدين، هو ميله الشديد لاختزال الظاهرة الدينية في بعدها النظري والمعرفي، وتجاهل أبعادها الوجودية والروحية والأخلاقية والنفسية الأخرى. وهو ميل منهجي يعكس تأثره بالمقاربة الوضعية المادية للدين، والتي ترى فيه مجرد أفكار ومعتقدات خاطئة عن العالم يمكن دحضها بالعلم والتجربة. وهي مقاربة أحادية الجانب تتعارض مع المنظور الفلسفي الشامل للدين كظاهرة إنسانية ووجودية معقدة.

ففي كتاباته، ينظر هاريس إلى الأديان وكأنها نظريات علمية فاشلة عن الكون والطبيعة، ويختصر نقده لها في بيان تعارضها مع الاكتشافات العلمية الحديثة. فهو يعتبر "الكتب المقدسة أسوأ مصدر ممكن للمعلومات عن كيفية عمل الكون". (Harris, Sam, 2004 p. 24)

ويصف الاعتقادات الدينية بأنها "أفكار شاذة حول بنية الواقع". (Harris, Sam, 2004 p. 45)

وهو بذلك يقيس الدين بمعايير العلم التجريبي، ويحصر قيمته في مطابقته للوقائع المادية المحسوسة.

لكن هذا الاختزال الوضعي يتجاهل حقيقة أن الدين، كما أظهر ذلك الكثير من فلاسفة وعلماء الدين، هو ظاهرة لا تنحصر في بعدها المعرفي والنظري. فهو أولا وقبل كل شيء، تجربة وجودية وشعورية تمس أعماق الذات الإنسانية، وتتعلق بأسئلة المصير والمعنى والقيمة المطلقة. فبغض النظر عن مدى صدق أو دقة التصورات الدينية للعالم، فإن جوهر الإيمان يكمن في الخبرة الشعورية المباشرة لحضور المقدس والتماس معه، وهي خبرة وجدانية لا تحتاج لتبرير عقلي.

(Otto, Rudolf, 1958, pp. 12-41)

وكما أكد وليام جيمس في "أنواع التجربة الدينية"، فإن الدين بالنسبة للمؤمن الحقيقي، ليس نظاما فكريا مجردا بل هو "إحساس بواقع غير مرئي" و"استجابة انفعالية للحياة ككل".

(James, William, 1994, p. 36)

وهو ما يجعل تأثير الدين قويا وعميقا على نفسية الأفراد وسلوكهم، بغض النظر عن قيمته الموضوعية كنسق معرفي. وهذا البعد العاطفي-الوجودي للإيمان يتجاوز قدرة العقل والتجربة على التفنيد أو التأكيد، وإن لم يكن بالضرورة مناقضا لهما.

بكلمات كانط، فإن الإيمان الديني في جوهره يتعلق بـ"الحاجة العقلية" للإنسان لافتراض وجود "كائن أعلى" يعطي معنى أخلاقيا للحياة رغم ما فيها من شرور . (Kant, Immanuel , 2015, 5:125)

وهذا الافتراض الوجودي لا ينبع من معطيات العقل النظري، ولا يمكن إثباته أو دحضه بقواعده، بل ينبع من متطلبات العقل العملي وضرورة استكمال النظام الأخلاقي للعالم. ولأن الإيمان ليس مسألة معرفة

نظرية أو حقيقة موضوعية، بل هو مسلمة عملية ذاتية تتعلق بالمعنى والغائية، فمن غير المجدي نقده بأدلة علمية تجريدية.

جانب آخر أغفله هاريس في نقده، هو الأبعاد النفسية والاجتماعية للإيمان الديني. فالأديان، بغض النظر عن صدق معتقداتها من عدمه، تؤدي وظائف نفسية واجتماعية مهمة لدى أتباعها. فهي توفر لهم الشعور بالأمان والانتماء والهوية المشتركة، وتساعدهم على تجاوز مشاعر القلق الوجودي والخوف من الموت والمجهول. وهي تخلق روابط تكافلية وقيما مشتركة تعزز التماسك الاجتماعي.

(Durkheim, Emile, 2008, pp. 39-44)

لذلك فتفنيد الأفكار الدينية عقلانيا، لا يلغي بالضرورة قيمتها النفسية والاجتماعية لمعتنقيها.

باختصار، فنقد هاريس للأديان يقوم على تصور وضعي أحادي يختزل المعتقدات الدينية في أبعادها المعرفية ويقيسها بمعايير العلم التجريبي. لكن هذا التصور لا يستوعب طبيعة الظاهرة الدينية كتجربة وجودية معقدة، ولا يقدر أهميتها الروحية والنفسية والاجتماعية في حياة الأفراد والمجتمعات. وهو ما يجعل نقده للدين قاصرا ومبتسرا من وجهة نظر فلسفة الدين الشاملة.

المطلب الثالث: التعميم المفرط في رؤية سلبيات الأديان ونقائصها

ثغرة ثالثة في فكر هاريس، هي ميله المتكرر للتعميم السلبي المبالغ فيه في حديثه عن الأديان وتاريخها. فهو يركز حصريا على الجوانب السلبية في الممارسات والمعتقدات الدينية عبر التاريخ، من تعصب صب وعنف وتطرف وخرافات، ويستخدمها كدليل على خطورة الدين عموما وضرورة التخلص منه.

(.Harris, Sam, Talk at the Aspen Ideas Festival, 2007)

لكن هذا التعميم الانتقائي يغفل التنوع الهائل في التجارب الدينية الإنسانية، ويتجاهل الجوانب الإيجابية العديدة في تاريخ الأديان وتأثيرها الحضاري.

فمن منظور دراسات الأديان المقارنة، هناك تنوع كبير في المعتقدات والطقوس والتنظيمات الدينية بين الثقافات والعصور، بحيث يصعب الحديث عن "الدين" بصيغة المفرد كظاهرة متجانسة وثابتة. وهناك اختلافات جوهرية داخل كل تقليد ديني، بين التيارات المتشددة والمعتدلة، الظاهرية والعرفانية، الانغلاقية والإصلاحية . (Huston Smith, 2009, pp. 2-5)

وهذا التنوع يحتم توخي الدقة والتحفظ في إطلاق الأحكام العامة على الظاهرة الدينية.

أيضا رغم الاعتراف بالممارسات اللاإنسانية والنزعات الدوغمائية في تاريخ الأديان، فمن الإجحاف تجاهل إسهاماتها الإيجابية العديدة في مسيرة الحضارة الإنسانية. فالأديان ساهمت عبر التاريخ في تطوير القيم الأخلاقية ومفاهيم العدالة الاجتماعية، وألهمت إنجازات عظيمة في الفنون والعمارة والموسيقى، وعززت مشاعر التضامن والإيثار بين أتباعها. حتى العلوم الحديثة، في جانب منها، كانت امتدادا للتأمل الديني في عظمة الخلق وإبداع الخالق. (Armstrong, Karen, 1993, pp. 131-162)

إضافة لذلك، فالتقاليد الدينية الكبرى تضم في داخلها تيارات صوفية وإصلاحية عميقة، سعت لتصفية الدين من الشوائب البشرية ومظاهر التعصب والجمود، والعودة لجوهره الروحي الأصيل المتسامح. كما ظهر في تلك التقاليد مصلحون وفلاسفة نقديون، حاولوا التوفيق بين الإيمان والعقل، والحوار مع الفلسفات والأديان الأخرى. (Heschel, Abraham Joshua , 1976, pp. 3-40)

وهي اجتهادات لا يمكن تجاهلها عند تقييم إرث الأديان والحكم على قابليتها للتجدد.

ومن جهة أخرى، فإن ربط العنف والظلم بالدين وحده، كما يفعل هاريس، يعكس فهما سطحيا لديناميات الصراع البشري. فكثير من الحروب والفظائع التي ارتكبت باسم الدين، كانت بدوافع اقتصادية وسياسية في جوهرها، واستخدمت الدين غطاء أيديولوجيا لتبرير نفسها. والقرن العشرين شهد أبشع الانتهاكات ضد الإنسانية تحت رايات قومية وعلمانية (النازية، الشيوعية..)، لا علاقة لها بالدين.

Cavanaugh, William, 2009, pp. 15-56)

مما ينبه لخطأ حصر الشر في الدوافع الدينية، وضرورة البحث عن جذوره في طبيعة الإنسان ذاتها.

واستكمالا لمنهج كانط النقدي، فمن المهم التمييز بين المُثل الأخلاقية النبيلة التي تدعو لها الأديان، وبين الممارسات البشرية القاصرة التي تتنافى معها. فكما أن فساد بعض السياسيين لا يعني خطأ المثل الديمقراطية، فإن تعصب بعض المتدينين لا يعكس بالضرورة فساد القيم الدينية. وبدل استغلال نقائص الأديان للتشهير بها، فالأجدى أخلاقيا العمل على إصلاحها من الداخل، واستلهام مثلها الأخلاقية الكونية في ترقية الوعي الإنساني.

وفي الختام، فإن نقد هاريس للأديان يفتقر للموضوعية والشمولية في تناوله للظاهرة الدينية بتشعباتها. فهو يركز بشكل انتقائي على سلبياتها وينسبها بشكل حصري للدين كمنظومة فكرية، دون تمييز بين مستوياتها ومصادر تأثيرها. ورغم وجاهة كثير من انتقاداته، فهو يعمم الحكم بطريقة تبخس التنوع الحضاري للأديان ومساهماتها الثقافية والأخلاقية الهائلة، وتتجاهل قابليتها للإصلاح من منطلقاتها الروحية الخاصة.

في ضوء ما سبق، يتضح أن نقد هاريس للأديان، على أهميته في تعرية النزعات الدوغمائية والتعصبية، يعاني من عدة ثغرات منهجية تستدعي تجاوزه فلسفيا. فهو أولا يقفز من عجز البراهين العقلية على وجود الله إلى نفيه القاطع، متجاهلا إمكانية الإيمان رغم قصور الأدلة النظرية. كما أنه يختزل الأديان في بعدها المعرفي، ويهمل أهميتها الروحية والوجودية والنفسية في حياة الأفراد. وأخيرا، فهو يبالغ في تعميم سلبيات الأديان على حساب إسهاماتها الحضارية.

أما بديل هاريس من منظور فلسفة الدين، فهو موقف نقدي متوازن كالذي صاغه كانط، يحترم حدود العقل في الأسئلة الميتافيزيقية، ويفصل بين الإيمان كمسلمة عملية وبين الاعتقاد كنظرية معرفية. موقف يعترف بالدور الوجودي للتجربة الدينية، ويسعى لتنقيتها من الشوائب الخرافية. ويقر بالتنوع الهائل للظاهرة الدينية، ويعمل على استخلاص جوهرها الأخلاقي الكوني ونبذ تجلياتها المتطرفة.

وفي عصر يموج بالصراعات الدينية والأيديولوجية، فإن مهمة الفلسفة النقدية ليست الانحياز الأعمى لأحد طرفي الإيمان والإلحاد. بل مساءلة كلا الموقفين بصرامة منطقية، والكشف عن محدودية الأنساق الفكرية في استيعاب كنه الوجود والغيب. والأهم، البحث عن أرضية مشتركة للتعايش الإنساني والارتقاء الأخلاقي، بعيدا عن التعصب بكل أشكاله، ونحو فضاء أرحب من الحرية والتسامح.

الخاتمة:

في ختام هذه الدراسة النقدية لموقف سام هاريس من الإلحاد والإيمان، نخلص إلى أن مشروعه الفكري، رغم إثارته لتساؤلات مهمة وجريئة، يحمل في طياته إشكالات منهجية وفلسفية عميقة. فمن خلال تحليل أطروحاته الرئيسية في كتابه "نهاية الإيمان" وغيره، اتضح لنا أن دعوته للتخلص من الدين والتبشير بالإلحاد، تستند إلى مقدمات ونتائج تستدعي إعادة النظر والتمحيص الفلسفي الدقيق.

ففي المبحث الأول، الذي خصصناه للإطار المفاهيمي والنظري، بيّنا كيف أن تعريف هاريس للإلحاد كموقف جازم بعدم وجود إله، وللإيمان كتسليم أعمى بالغيب، ينطوي على تبسيط وحسم لقضايا شائكة ظلت محل جدل فلسفي وديني طويل. كما أن نبذه القاطع للدين كنظام فكري وأخلاقي فاسد، يتنافى مع التنوع الهائل للتجارب الدينية وتأثيراتها عبر التاريخ.

أما المبحث الثاني، فقد كشف لنا عن الثغرات المنهجية في أسس الإلحاد عند هاريس. فاستناده لضعف البراهين العقلية والأدلة التجريبية على وجود الله كمبرر كاف لنفيه، هو قفزة منطقية مشكوك فيها. فعدم إمكان إثبات القضية لا يعني صحة نقيضها بالضرورة. وكما بين كانط، فإن حدود العقل النظري تدعو للتواضع حيال الأسئلة الميتافيزيقية الكبرى.

كذلك فإن توظيف هاريس لمعضلة الشر كبرهان قاطع لإبطال فكرة الإله، ينم عن مقاربة أحادية وجزئية لمسألة فلسفية ودينية عميقة. ورغم مشروعية إثارة السؤال عن التناقض الظاهري بين البؤس في العالم والإيمان بإله رحيم، إلا أن حسمه لصالح نفي وجود الله مطلقا يبقى استنتاجا متعجلا. فالتحدي الذي يطرحه الشر للإيمان لا يلغي بالضرورة كل إمكانية للمعنى والغائية.

وفي المبحث الثالث، ناقشنا الحجج التي ساقها هاريس حول خطورة الدين على العقل والأخلاق والعيش المشترك، كأساس لضرورة التخلص منه. ورأينا كيف أنها تنطوي على تعميمات وأحكام قيمية انتقائية لا تنصف حقيقة الظاهرة الدينية المركبة. فمع التسليم بإشكالية التعصب والعنف باسم الدين، إلا أن اختزاله في ذلك وتجاهل إسهاماته الفكرية والأخلاقية عبر التاريخ، منهج مخل لا يرقى لمعايير البحث الفلسفي الرصين.

وهكذا، من خلال المباحث الثلاثة، يتبين لنا أن المشكلة المنهجية الرئيسية في أطروحة هاريس، هي نزوعه للتعميم المتسرع وإطلاق الأحكام الجازمة في القضايا الفلسفية الكبرى. فهو لا يكتفي بنقد جوانب إشكالية في الأديان، بل يذهب لإلغاء الظاهرة الدينية برمتها كمشروع فكري وروحي. وهو لا يتوقف عند إظهار تهافت الأدلة العقلية على وجود الله، بل يقفز لاستنتاج عدم وجوده واستحالة الإيمان.

وكما يعلمنا كانط، فإن هذا النوع من الأحكام القطعية الصارمة يتنافى مع التواضع الفكري الذي يقتضيه البحث الفلسفي الجاد. فحدود معرفتنا وعقلنا، ينبغي ألا تقودنا لنفي إمكانية كل ما يتجاوزها، بل لتعليق الحكم النهائي والانفتاح على آفاق التفكير والتأويل. وبدل الاختيار الحدي بين الإيمان المطلق والإلحاد المطلق، فالأجدر بالفلسفة أن تسعى لصياغات أرحب جمعا بين احترام العقل ومقتضيات الروح.

وعليه، فإن نموذج كانط الأخلاقي-الغائي للدين، رغم حاجته هو الآخر للمراجعة والتطوير، يظل أكثر اتزانا ورحابة من إلحاد هاريس المادي الصارم. فهو من جهة يقر باستقلالية العقل والعلم ويدعو لنقد الخرافة والتعصب، لكنه من جهة أخرى لا يستبعد إمكانية الاعتقاد بمطلق أخلاقي وغائية كلية، في حدود ما يسمح به العقل العملي. وهو بذلك يوفر أساسا فلسفيا للجمع بين الحرية الفكرية وسعي الإنسان للمعنى والقيم السامية.

في الختام، وبعيدا عن موقفنا الشخصي من قضية الإيمان والإلحاد، فإن ما نحتاجه فلسفيا هو تجاوز الثنائيات الصارمة والشعارات الجوفاء. فلا الدين ولا اللادين حقيقة نهائية مكتملة، بل هما ظاهرتان إنسانيتان معقدتان، لهما إيجابياتهما وسلبياتهما. والرهان الفكري الأصيل هو كيفية تنقية كل منهما من وائب التطرف والدوغمائية، والسعي الدؤوب لأرضية مشتركة من القيم الأخلاقية الإنسانية.

ومهمة الفلسفة الكبرى، ليست الانتصار النهائي لمعسكر على آخر، بل توسيع دوائر الحوار البناء والنقد الذاتي المتبادل. وتعميق الوعي بأن اختلاف الرؤى الدينية والكونية، لا ينبغي أن يحول دون التعاون في السعي لعالم أكثر إنسانية وعدالة وتنويرا. وهو السبيل الوحيد لتحقيق ما يصبو إليه هاريس نفسه، من تحرير العقل وصون كرامة الإنسان.

نتائج الدراسة:

بعد هذه المراجعة النقدية لفكر سام هاريس حول الإلحاد والإيمان، يمكننا تلخيص أبرز النتائج التي توصلنا إليها:

1- إن موقف هاريس الإلحادي، رغم طرحه لتساؤلات مشروعة حول الدين، يعاني من ثغرات منهجية وتعميمات متسرعة لا تستوعب تعقيد الظاهرة الدينية.

2- استناد هاريس لضعف الأدلة العقلية والبراهين التجريبية على وجود الله كمبرر لنفيه، هو استنتاج فلسفي مشكوك فيه لا يراعي حدود العقل والمعرفة البشرية.

3- توظيف هاريس لمشكلة الشر كحجة دامغة لإبطال فكرة الإله، ينم عن مقاربة أحادية لا تقدر أبعاد هذه المعضلة الفلسفية العميقة ولا تمنح بدائل كافية للمعنى.

4- دعوة هاريس للتخلص من الدين بحجة خطورته على الأخلاق والعقل والسلام، تنطوي على أحكام انتقائية لا تنصف إسهامات الأديان الحضارية عبر التاريخ.

5- نموذج كانط الأخلاقي للدين، رغم حاجته للتطوير، يوفر أساسا فلسفيا أكثر اتزانا للجمع بين استقلالية العقل والحاجة للمعنى والقيم المطلقة.

6- ثنائية الإيمان المطلق والإلحاد المطلق التي يتبناها هاريس، تتنافى مع مقتضيات التواضع الفكري والانفتاح على آفاق التفكير التي يقتضيها البحث الفلسفي الرصين.

توصيات الدراسة:

وبناء على هذه النتائج، يمكننا الخروج بمجموعة من التوصيات الفلسفية لتجاوز إشكالات فكر هاريس ونحو مقاربة أكثر تكاملا لمسألة الإيمان والإلحاد:

1- أهمية التمييز في النقد الفلسفي للدين بين مستوى المعرفة الميتافيزيقية ومستوى المعنى الوجودي، وعدم حسم الثاني بمعايير الأول وحده.

2- ضرورة احترام حدود العقل والتواضع الفكري إزاء الأسئلة الكبرى حول وجود الله والحقائق المطلقة، وتجنب القفز لأحكام قطعية في ما يتجاوز المعرفة البشرية.

3- الانفتاح على تعددية التجارب الدينية والروحية ودراستها بموضوعية، دون اختزالها في جوانبها السلبية أو تعميم نماذجها المتطرفة على الظاهرة ككل.

4- العمل على بلورة رؤى فلسفية تتجاوز ثنائية الإيمان والإلحاد الصارمة، وتؤسس لعلاقة أكثر نضجا بين الفكر النقدي والحاجة الإنسانية للمعنى والقيم العليا.

5- الاستفادة من نموذج كانط النقدي في فهم الدين كمجال عملي أخلاقي لا كمعرفة ميتافيزيقية، مع تطويره بما يتناسب مع تحديات ومعارف عصرنا.

6- تعزيز قيم الحوار والاحترام المتبادل بين المؤمنين والملحدين، والكف عن خطابات التخوين والإقصاء، والبحث عن أرضية مشتركة للتعاون الإنساني رغم الاختلاف العقدي.

7- تسخير الجهد الفلسفي والفكري لتنقية الأديان من الخرافة والتعصب وتشجيع مظاهر الإيمان العقلاني المستنير، بدل الدعوة لاستئصال الدين كليا من الحياة البشرية.

8- السعي لتطوير خطاب إنساني كوني يتجاوز سلبيات الأديان والإلحاد على حد سواء، ويرتكز على قيم العقل والتسامح والكرامة المشتركة لجميع البشر.

في الأخير، لعل إعمال هذه التوصيات وغيرها، يمكن أن يسهم في تجديد النظر الفلسفي في علاقة الإيمان والإلحاد، بعيدا عن الرؤى الأحادية والاختزالية. فالفلسفة الحقة هي تلك التي تظل منفتحة على تعدد المعاني، وتؤمن بقدرة العقل على مراجعة ذاته وافتراضاته، وتسعى لتوطيد أسس التعايش الكريم رغم اختلاف المشارب والتوجهات. وهو المسعى الذي نأمل أن تكون هذه الدراسة قد أسهمت ولو يسيرا في تحقيقه.

قائمة المصادر والمراجع الاجنبية:

Amarasingam, Amarnath,(2010) "Introduction." In Religion and the New Atheism: A Critical Appraisal, edited by Amarnath Amarasingam, 1–8. Leiden: Brill,.

Armstrong, Karen,(2014), Fields of Blood: Religion and the History of Violence. New York: Knopf,.

Armstrong, Karen,(1993), A History of God: The 4000-Year Quest of Judaism, Christianity, and Islam. New York: Ballantine Books.

Baggini,Julian,(2003), Atheism: A Very Short Introduction. Oxford: Oxford University Press,.

Blackburn,(2005), Simon. The Oxford Dictionary of Philosophy. Oxford: Oxford University Press..

Byrne, Peter,(2007), Kant on God. Aldershot: Ashgate.

Berkowitz, Peter,(2007) "The New New Atheism." The Wall Street Journal, July.

Cavanaugh, William T. ,(2009), The Myth of Religious Violence. Oxford: Oxford University Press.

Casserley,J. V. (1971), Langmead. Evil and Evolutionary Eschatology: Two Essays. Edited by C. Don Keys. Toronto: University of Toronto Press.

Clayton Philip,(2005), "Theology and the Physical Sciences." In The Modern Theologians: An Introduction to Christian Theology Since 1918, edited by David F. Ford and Rachel Muers, 342-356. Malden, MA: Blackwell.

Dalai, Lama,(2011), XIV Beyond Religion: Ethics for a Whole World. Boston: Houghton Mifflin Harcourt.

Durkheim, Émile, (1995),The Elementary Forms of Religious Life. Translated by Karen E. Fields. New York: The Free Press.

Dennett, Daniel C. (2007), Breaking the Spell: Religion as a Natural Phenomenon. London: Penguin..

Durkheim, Emile. (2008), The Elementary Forms of Religious Life. Translated by Carol Cosman. Oxford: Oxford University Press,..

Eliade, Mircea. (1959), The Sacred and the Profane: The Nature of Religion. Translated by Willard R. Trask. New York: Harcourt,..

Gert, Bernard. (2020), "The Definition of Morality." In The Stanford Encyclopedia of Philosophy, edited by Edward N. Zalta,.

Hick,John, (1988), Faith and Knowledge. London: Macmillan,.

Hitchens, (2007), Christopher. God Is Not Great: How Religion Poisons Everything. New York: Twelve,.

Harris Sam, (2014), "The God Debate." Interview by Cenk Uygur. The Young Turks, January 9.

Harris, Sam,(2007), "The Problem with Atheism." Talk at the Aspen Ideas Festival,.

Harris ,Sam, (2004), The End of Faith: Religion, Terror, and the Future of Reason. New York: W.W. Norton,..

Harris, Sam,(2006), "Science Must Destroy Religion." The Huffington Post, January 2,

Harris, Sam,(2004), The End of Faith: Religion, Terror, and the Future of Reason. New York: W.W. Norton..

Harris, (2004),Sam. The End of Faith: Religion, Terror, and the Future of Reason. New York: W.W. Norton..

Huston Smith, (2009), The World's Religions. New York: Harper One.

Heschel, Abraham Joshua. (1976), God in Search of Man: A Philosophy of Judaism. New York: Farrar, Straus & Giroux.

Hare, John E, (2009), God and Morality: A Philosophical History. Malden: Blackwell,..

-Hume, David, (2007),Dialogues Concerning Natural Religion. Edited by Dorothy Coleman. Cambridge: Cambridge University Press,.

Hyman, Gavin, (2007),"Atheism in Modern History." In The Cambridge Companion to Atheism, edited by Michael Martin, 27-46. Cambridge: Cambridge University Press.

Hume, David, (1993) An Enquiry Concerning Human Understanding. Edited by Eric Steinberg. 2nd ed. Indianapolis: Hackett Publishing Company,..

James, William.(1994), The Varieties of Religious Experience: A Study in Human Nature. New York: Modern Library,..

James, William, (1897) The Will to Believe and Other Essays in Popular Philosophy. New York: Longmans, Green,..

Kant, , Immanuel, (1997) Critique of Practical Reason. Translated by Mary Gregor. Cambridge: Cambridge University Press..

Kant, Immanuel,(1998), Religion within the Boundaries of Mere Reason and Other Writings. Translated by Allen Wood and George Di Giovanni. Cambridge: Cambridge University Press,..

Kant, Immanuel. (1998) Critique of Pure Reason. Translated by Paul Guyer and Allen W. Wood. Cambridge: Cambridge University Press,,

Kant, , Immanuel. (2015), Critique of Practical Reason. Translated by Mary Gregor. Cambridge: Cambridge University Press.

Kant, Immanuel, (1998), Critique of Pure Reason. Translated by Paul Guyer and Allen W. Wood. Cambridge: Cambridge University Press.

Kant, Immanuel. (1996) "What Does It Mean to Orient Oneself in Thinking?" In Religion and Rational Theology, translated by Allen W. Wood and George Di Giovanni, 7-18. Cambridge: Cambridge University Press.

Kant, Immanuel. (1996)"On the Miscarriage of All Philosophical Trials in Theodicy." In Religion and Rational Theology, translated by Allen W. Wood and George Di Giovanni, 24-37. Cambridge: Cambridge University Press.

Kant, Immanuel. (1998) Critique of Pure Reason. Translated by Paul Guyer and Allen W. Wood. Cambridge: Cambridge University Press.

Mill, John Stuart. (1963), "Utilitarianism." In Collected Works of John Stuart Mill, edited by John M. Robson, 203-60. Toronto: University of Toronto Press.

Martin, Michael, (1990), Atheism: A Philosophical Justification. Philadelphia: Temple University Press,

Maritain, Jacques,(1953), The Range of Reason. London: Geoffrey Bles.

Muhammad, Iqbal,(1934)The Reconstruction of Religious Thought in Islam. London: Oxford University Press.

Munzel, G. Felicitas. ,(1999) Kant's Conception of Moral Character: The "Critical" Link of Morality, Anthropology, and Reflective Judgment. Chicago: University of Chicago Press.

Otto, Rudolf,(1958)The Idea of the Holy. Translated by John W. Harvey. Oxford: Oxford University Press, 1958.

Palmquist, Stephen (2009)"Kant's Religious Argument for the Existence of God: The Ultimate Dependence of Human Destiny on Divine Assistance." Faith and Philosophy 26, no. 1..

Palmquist, Stephen.(2008), "Kant's Moral Panentheism." Philosophia 36, no.

Segal, Robert A, (2005), "Theories of Religion." In The Routledge Companion to the Study of Religion, edited by John R. Hinnells, 49-60. London: Routledge.

TooleyMichael,(**201**9), "The Problem of Evil." In The Stanford Encyclopedia of Philosophy, edited by Edward N. Zalta.